# بل لا يا بهاء الدين !!

## اشتراكيتنا مؤمنة لاملحدة !!

بقلم الأستاذ سعيد حمزة مكرم المحامى

بعد أن صدرت القوانين الثورية الاشتراكية الأخيرة تسابقت الأقلام إلى دراسة هذه التشريعات والتعليق عليها ؛ فمنها ما تناولها فى جد وتقدير لمسئولية الكلمة فاستطاع أن يدرك جوانب عريضة من فلسفتها ومغزاها وأهدافها ، ومنها ما لم يرتفع إلى مستوى الأحداث فلم ير منها غير أبعادها القريبة وفاته أن يحيط بجوانبها الموحية العميقة .

ومن الأقلام التى كنت أقدر لها التوفيق فى فهم هذه الأحداث الكبيرة قلم الاستاذ أحمد بهاء الدين رئيس التحرير بالاخبار ، غير أن الذى حدث غير ما كنت أتوقع قبدلا من يتعمق الامور إذا به يتناولها تناولا سطحيا خاطفا ، وبدلا من أن يكون جادا فى وقت الجد نراه وقد اندفع فى كلام لم يرتفع حتى إلى مستوى الهزل العابث!!

يقول الاستاذ بهاء الدين بعدد ١٩٦١/٧/٢١ تحت عنوان ( المرأة والاشتراكية )

« . . . أننا كثيراً ما نرى إنسانا يؤمن بهذا النظام الاقتصادى وفوائده ، ونسمعه يتحدث عن هذا النظام فى اسهاب واقتناع حقيق ، ولكنه فجأة حين يتكلم عن شىء آخر بسيط جداً فى حياته الخاصة تكتشف أنه مازال — فى تكوينه الحقيقى — بعيداً تماما عن أن يكون اشتراكيا بالمعنى الكامل . . موضوع المرأة مثلا . . قد تجد هذا الشخص المشار إليه الذى يؤمن بالعدل الاقتصادى غير مؤمن بطريقة ما ، بنحو ما ، بمساواة المرأة بالرجل . إنه لا يعارض بالضرورة فى أن تذهب البنت إلى المدرسة وتتعلم وتشتغل ، فقد أصبح هذا أقوى من أن يعارضه المعارضون ولكنه لا يذهب إلى آخر الطريق . لا يعطيها مثلا نفس الحرية الشخصية التى يرى أن اعطاءها للرجل بديهى ، لا يعطيها المسئولية عن نفسها بنفس المستوى الذى يعطى به الرجل مسئوليته عن نفسه . هذا الإنسان ليس فى خلاياه الحقيقية اشتراكيا . . الخ . .

واحب أن أقف قليلا عند هذه السطور لأتساءل ماذا يقصد أحمد بهاء الدين بتعبير « الحرية الشخصية » ؟

لو أنه قال أن للمرأة حقوقاً مدنية منحتها إياها قوانين الأمم المتقدمة ويجب على المشرع العربى أن يحذو حذو هذه التشريعات ، لقلنا وجهة نظر تستحق الدراسة والمناقشة . . . ولو قال إن المرأة الأوربية أو الأمريكية أو الروسية تتمتع بحقوق « سياسية » أكثر وأهم مما تتمتع به المرأة العربية ، لطلبنا إليه المضى فى شرح قضيته ، فإن اقنعنا بوجهة نظره صفقنا له وساندناه ، وإن لم يستطع أن يقنعنا — أو لم نستطع نحن أن نقتنع — لم ننكر عليه حقه فى إبداء رأيه والدفاع عنه .

ترى هل يعنى بالحرية الشخصية للمرأة حقوقها « المدنية والسياسية » كما يسميها رجال القانون وكما يشيع على الألسن حتى بين العوام ؟

إذا كان يقصد هذا ففهم العناء وهو يعلم أن المرأة العربية قد حصلت فى ظل ثورة ٢٣ يوليو على حقوق مدنية وسياسية لا تزال بعض المجتمعات الأوربية تبخل بها على المرأة هناك .

أم هل يعنى بهاء شيئاً آخر بتعبيره الغامض المريب غير هذين النوعين من الحقوق؟ على ضوء هذا التحديد للمعانى ، وعلى ضوء كلام بهاء الدين نفسه حاولت أن أصل مخلصا إلى ما يهدف إليه .

يقول الكاتب (الملتزم) ! ( وفى بيوتنا العربية توجد بيوت كثيرة تدخلها فتشعر على الفور أن نظام الطبقات سائد يتحكم فيها ، فبالرغم من أن البيت وحده اقتصادية واحدة إلا أنه من الناحية الاجتماعية ينقسم انقساما حقيقيا إلى طبقتين ، الزوج طبقة ، والزوجة طبقة أخرى ، أو الاخوة الأولاد طبقة والاخوات البنات طبقة أخرى . . الزوج يأمر زوجته بألا تبرح البيت ثم يعلن أنه خارج لقضاء الليل مع أبناء طبقته من الرجال ، أو الأخوة الأولاد يأمرون اخواتهم البنات بعدم التطلع من الشبابيك . . ثم يخرجون لمعاكسة بنات الجيران . . هذا أيضا نظام طبقات ) . بل إنه أقدم وأعتى نظام طبقات ولا يمكن أن يمارسه اشتراكى حقيقى إنما يمارسه اشتراكى قلق غير متكامل ، قابل « للارتداد » فى أى لحظة . . الخ . . ) :

لا يا أستاذ بهاء الدين ( ملهمش حق أبداً ) يجب على الرجل ألا يخطو خطوة إلا وزوجته إلى يمينه أو إلى يساره كالملاك الحارس أو كالرقيب العتيد ! ! ويجب على الاخوة الاولاد ألا يعكروا على إخواتهم البنات صفو علاقاتهم السعيدة مع أبناء

الجيران (ومفيش حد أحسن من حد) كما يقول المثل السائر، وإلا فهم ليسوا اشتراكيين حقيقيين، وإلا فالامر أيضا طبقية يستنكرها أنبياء الاشتراكية من أمثال أحمد بهاء الدين !!

لا يكفي في منطق الكاتب (الملتزم) !! أن تتعلم المرأة، وتنزل إلى ميدان العمل على قدم المساواة فضلا عن هذه السلسلة الطويلة من الحقوق المدنية والسياسية التي حصلت عليها — لتكون متمتعة بحريتها الشخصية !! فلا بد إذن أن تكون لهذه الحرية ظواهر أخرى هي أهم وأعمق من كل هذا في حساب كاتبنا الكبير كأن يكون مثلا للزوجة أو للأخت أو للابنة مطلق الحرية في أن تنشيء ما تشاء من علاقات مع من تشاء من رجال ونساء، وإن تأتي ما تشاء من تصرفات متى أرادت . . لا تسأل عما تفعل، فإذا أخطأ أب أو زوج أو اخ وأقحم نفسه في شئونها الخاصة هزت كتفها في سخرية واستنكار وقالت له بكل بساطة: هذه حريتي الشخصية أو «أنا حرة» كما يقولون في الأفلام !! وعلى الرجل أن يسلم لها بهذه الحرية وإلا فهو رجعي سلفي متأخر إلى آخر ما يطلقه عليه أمثال السيد بهاء الدين من . صفات !!

كان أولى بك يا أستاذ بهاء الدين أن تدعو الرجل والمرأة على السواء إلى تقديس المعاني الاجتماعية الكريمة، والقيم الخلقية التي أجمعت عليها الاديان وانتهى إليها الذوق البشري، وفي طليعتها قيمة العرض، فالعرض ليس احتكاراً لجانب دون الآخر وإنما هو شركة مقدسة بين الرجل والمرأة، يحملان معا امانتها كاملة وجليلة، فإذا امتهن أحدهما هذه الامانة فقد خان صاحبه كما اختان نفسه وما ابشع هذه النتيجة في ميزان النفس الطيبة.

وكان أولى بك يا أستاذ بهاء الدين أن تسمي الأمور بأسمائها فبدلا من أن تقول للخليعة أو للخليع «برافو هذه هي الاشتراكية» !! أولى بك أن تقول لها ما ابعدكما عن الخلق المجرد والخلق الاشتراكي على السواء.

أما وقد دعوت هذه الدعوة الصريحة إلى التحلل من بعض قيمنا الخلقية التي نعتز بها كمسلمين وكعرب بل وكبشر فإننا نقولها صريحة حاسمة لك ولكل من يحاول أن يشوه علينا جلال هذه الأحداث والأيام أو أن يزيف علينا اشتراكيتنا الصاعدة . . مكانك !! فاشتراكيتنا مؤمنة لا ملحدة، فاضله لا فاجرة، اشتراكية قوم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله . ؟